الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ: ٢٩/١١/٢٠٠٢

## بهـــدوء

بقلم: إبراهيم نافع

# الســـادات مظلوما...؟
# رجـــل المتناقضات..!

الذين أحبوا السادات اعتقدوا دائما أن الجماهير فى السابق لم ترتفع إلى مستوى الحنكة والحكمة السياسية للرجل، وأن قلبها وعقلها ظلا دوما مع القادة الذين دغدغوا مشاعرها بالأحلام أو بالشعارات الوردية التى لا تتحقق، وذهبت غالبا أدراج الرياح. أما الذين كرهوه فقد اعتقدوا أنه قد شط وابتعد كثيرا عما أراده الشعب عند توليه الحكم بعد وفاة الرئيس جمال عبدالناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وحتى مصرعه الدرامى فى ٦ أكتوبر ١٩٨١.

أما بالنسبة لى فلم يكن ثمة مجال للاختيار.. فلقد اتخذت موقف الجماهير التى خرجت تؤازر الرئيس الراحل السادات عقب قراره التاريخى بشن حرب السادس من أكتوبر المجيدة، وخرجت تسانده عقب عودته من القدس بعد مبادرته التاريخية من أجل السلام. وفى الحالتين كانت على يقين من حكمة وشجاعة الرئيس السادات فى اتخاذ القرارات الصعبة، والمستحيلة. وهو اليقين الذى لم يكن سائدا بالقدر نفسه بين قطاعات من المثقفين ظلوا لفترات طويلة يسألون أنفسهم عما

إذا كانت حرب أكتوبر حرب «تحرير» أم حرب «تحريك»؟ ويتساءلون هل كان على الرجل أن يحاول تحرير الأراضى المصرية المحتلة فى عهد سلفه أم كان الأجدى الانتظار حتى يتم تحرير جميع الأراضى العربية المحتلة فى وقت واحد؟

وكان ظنى على الدوام أن الانقسام حول السادات، حبا وكراهية، أو المقارنة والتحزب بينه وبين عبدالناصر، مع أنه أمر يخص نخبة المثقفين أكثر مما يهم الغالبية العظمى من الشعب التى تحفظ لكل زعيم وطنى قدره وحقه، ظل أمرا غير صحى بالمرة، لأنه قد يحرم مصر من ميزة التراكم التاريخى الناجم عن القدرة الموضوعية على التقويم، واستخلاص الدروس. لقد كان اغتيال الرئيس السادات واحدة من أكثر لحظات التاريخ المصرى درامية وتراجيدية، حيث نالته أيد آثمة، وهو بين جنوده الذين قادهم إلى النصر، وأمام الشعب الذى قاده إلى السلام وتحرير الأرض، وهى لحظات قاسية عشتها بنفسى عبر شاشات التليفزيون. ثم بالانتقال إلى مستشفى المعادى، حيث كان كل شىء قد انتهى، وحيث بدأت إجراءات نقل الشهيد إلى مثواه الأخير.

**وقلت يومئذ فى الأهرام:**

«فى الصباح خرج من منزله بالجيزة،، مرتديا ثياب أكتوبر، واصطحب قادة القوات المسلحة زائرا لقبر الجندى المجهول، أو لعله كان يحس - وهو المؤمن دائما بإرادة الله بأنه سيكون معهم، وبينهم بعد ساعات قليلة.. لم يكن باليقين يحس أن غدرا أو خيانة تتربص به من واحد من أولاده الجنود والضباط ، فكلهم أولاده، إن القوات المسلحة بريئة من حفنة الخونة الذين أنستهم الخيانة أنهم يسيرون فى يوم مصر، فى يوم البطولة المصرية، والسادات الرمز والعلم الخفاق فى سمائها ، لكن الخيانة تلبس أثوابا كثيرة، وتصبح فى عروق الخائن جزءا من مزيج دمه، فلا يدرى - فى غيبوبة الخيانة - أى شئ يخون ولا من يخون» .

وكتبت يومئذ: «بالأمس كنت أسأله :هل ستسافر يوم الأربعاء ؟ فقال إلى أين؟ قلت إلى وادى الراحة فى سيناء للتعبد والصلاة؟ قال :لو أراد الله ، فإن غدا يا إبراهيم يوم عظيم هناك مفاجآت كبيرة فى العرض العسكرى وإنجاز كبير، وبعد العرض سأزور قبر شقيقى عاطف . ولم تتم الزيارة».

والآن ولأول مرة منذ أكثر من ألفى عام عاشت مصر لعقدين كاملين وأرضها محررة بالكامل من الاحتلال الأجنبى، ولا مكان فيها لحاكم خارجى ينتمى إلى أقوام أخرى. وهى فترة كافية لكى تجعلنا نتحرر من كل القيود، ونتقدم بالفهم والتحليل للرجل الذى قادها إلى تلك الفترة التى ظلت تناضل من أجلها لآلاف السنين.

لقد عايشت السادات، وتجربته فى العمل السياسى، منذ بدأت العمل فى الصحافة قبل ما يزيد على أربعين عاما، ثم بعد أن تولى رئاسة الجمهورية فى أكتوبر ١٩٧٠. لكن ذلك قد تحول إلى مراقبة مباشرة بعد أن توليت رئاسة تحرير الأهرام فى نهاية عام ١٩٧٩ عندما اتصل بى الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء آنذاك لكى يبلغنى بقرار الرئيس السادات بتكليفى برئاسة تحرير الأهرام. ومنذ ذلك الحين أصبح هناك اتصال مباشر، وبل متكرر أحيانا بيننا فى اليوم الواحد، فقد كان رحمه الله من الذين يؤمنون باهمية الإعلام - ودور الأهرام خاصة - فى شرح سياساته للرأى العام.

وعلى كثرة متابعاتى الصحفية خلال أربعة عقود، فإننى لم أعرف شخصا أو قائدا، مثل السادات اختلف الناس حوله، بل واختلف المراقب الواحد بشانه بين لحظة وأخرى، حتى بدا فى أحوال كثيرة وكأنه شخصية مملوءة بالمتناقضات التى لا يستطيع أحد حصرها أو وضعها فى إطار فهم متسق ومتناغم. وحتى الآن مازال التساؤل قائما بعد واحد وعشرين عاما من رحيله: هل كان زعيما حالما أو مقامرا متهورا؟، هل كان وحشا سياسيا مندفعا أم كان رجل دولة داهية؟، هل كان شجاعا صاحب رؤية أم انتهازيا عميلا؟، هل كان شيطانا أم ملاكا؟، أم كان كل ذلك معا؟!.

والحقيقة أن هذه الصور المتناقضة للسادات لم تكن شائعة فى مصر والعالم العربى فقط، بل فى العالم الغربى الذى قال منتقدو السادات من قبل إنه كان المناصر الأساسى لسياساته. وبعد أربعة أيام فقط من حادث المنصة رصد روجر كوبر فى تعليق كتبه لمجلة «سبكتاتور» البريطانية كيف أن الكثيرين كانوا ينظرون إلى السادات عندما خلف الرئيس عبدالناصر

على أنه مجرد سد مؤقت للفراغ الذى تركه ناصر، إلا أنه سرعان ما أثبت أنه قوى وقادر، وبعد ثلاثة أعوام فقط من توليه الرئاسة أعاد للجيش المصرى فخاره حين بدأ حرب ١٩٧٣، ثم حين فاجأ العالم كله بخطوته الدرامية نحو السلام مع إسرائيل. وكان ذلك هو الوقت الذى كتب فيه المعلق المعروف روبرت فيسك أن الرئيس الراحل لم يكن زعيما عربيا عظيما، وإنما كان زعيماً غربياً عظيماً وكانت هذه النغمة نفسها هى ما رددتها صحيفة الجارديان البريطانية فى أكثر من مقال كتبه جون ماكمانوس وإيرين بيسون.

أما صحيفة التايمز البريطانية فكان لها رأى آخر حينما رثته رثاء مطولا بعد يوم واحد من وفاته قالت فيه: إن هناك عاملين أساسيين، وراء استمرار ذكرى السادات حية، أولهما هو قرار عبور قناة السويس عام ١٩٧٣ والذى رفعه إلى مرتبة رجل الدولة العالمى. وثانيهما هو إبرامه أول اتفاق سلام مع دولة إسرائيل اليهودية. والحدثان مرتبطان ارتباطا جوهريا، إذ لم يكن هناك أبدا إمكان لاتخاذ مبادرة السلام دون عبور القناة. وبعد عشرة أيام من حادث الاغتيال نشرت التايمز افتتاحية أخرى بعنوان «ذهب إلى القدس» قارنت فيها ما بين السادات وكيندى - وكلاهما مات اغتيالا - وتوصلت إلى أن أثر السادات فى العالم كان أعظم من تأثير كيندى. ويذكر هنرى كيسنجر المفكر الاستراتيجى ووزير الخارجية ومستشار الأمن القومى الأسبق فى الولايات المتحدة فى مذكراته حول الرئيس السادات أنه بعد وفاة عبدالناصر لم يكن متصورا أن شخصية غير معروفة - هى السادات - تستطيع أن تملأ فراغ شخصية بعظمة وقوة عبدالناصر، وأنه قد تصور، هو شخصيا ومعه مراقبون آخرون، أن فترة حكم السادات هى مجرد فترة انتقالية حتى تظهر الخلافة الحقيقية لعبد الناصر. ويعترف كيسنجر فى مذكراته أن

هذا التقدير كان من أسوأ التقديرات التى قام بها فى حياته، حيث كشفت الأحداث عن الشخصية الشجاعة والخلاقة للرئيس السادات التى أحدثت بالفعل ثورة فى العلاقات الدولية للشرق الأوسط.

أما الكاتب الفرنسى تييرى ديجردان فقد أصدر كتابا عن السادات قبل اغتياله بعنوان «السادات.. فرعون مصر» قال عنه فيه : «لاشك فى أن أنور السادات يعتبر واحدا من أكثر الشخصيات إثارة للدهشة فى الواقع الدولى الذى نعيشه، ويمكننا أن نؤكد أنه قلما نجد حكاما استطاعوا أن يثيروا إعجاب مواطنيهم مثل هذا الرئيس المصرى».

ففى سبتمبر ١٩٧٠، بعد وفاة ناصر لم يكن أحد يراهن على نائب الرئيس هذا الذى وضعه الدستور فى موقع الرئيس بالنيابة. ففى عيون المصريين وقتها لم يكن أنور السادات إلا الرجل المعروف بموافقته لعبد الناصر على كل شىء، ولم تتوقع الجماعة السياسية فى القاهرة أن يستمر السادات فى الحكم لأكثر من عدة أسابيع. فقد كان ينظر إليه على أنه شخصية شرفية ظل على مدى ثمانية عشر عاما موافقا على طول الخط، حتى أن واشنطن نفسها أكدت أيضا أنه لن يستمر فى الحكم أكثر من ستة أسابيع.

ولكن السادات الرجل غير المعترف به تماسك ، وأزاح بضربة واحدة رجل موسكو المفضل على صبرى، وكذلك أكثر الرجال سطوة فى البلاد والذين كانوا يسيطرون على النظام البوليسى البغيض، مثل شعراوى جمعة وسامى شرف. لم يكن أبدا من المتوقع له أن يتم توليه السلطة بهذه البساطة، وكانت هذه أول مفاجأة للسادات.

الثانية مفاجأته كانت قدرته على أن يمحو بجرة قلم الكثير مما كان يمثل الناصرية. ففتح السجون، ومنع التنصت على التليفونات، وسمح بالتعددية السياسية والحرية الاقتصادية والانفتاح الدبلوماسى. وهذا الرجل الذى تم تقديمه على أنه معجب قديم بهتلر، وأنه أحد مؤيدى الإخوان المسلمين، ظهر بعد عدة أسابيع كرجل ديمقراطى وصديق للغرب.

أما المفاجأة الثالثة - التى كنا نتوقعها - فهى أنه فى صباح يوم جميل فى عام ١٩٧٢ قام هذا الرئيس، الذى مازالت أمريكا مستاءة منه، بطرد الخبراء العسكريين السوفيت الذين وصل عددهم إلى نحو عشرين ألفا.

لم يمض على توليه السلطة أكثر من عامين وبكلمة واحدة وهو فى مكتبه، استطاع أن يقلب مسرح السياسة العالمية رأسا على عقب. فمنذ سنوات كانت مصر محمية سوفيتية. فالاتحاد السوفيتى كان قد انتهى من بناء السد العالى فى أسوان - الذى اعتبر هرم عبدالناصر - كذلك عمل الاتحاد السوفيتى على تصنيع البلاد وتدريب الجيش، كما قام بتنظيم الحزب الواحد بمصر، وسداد المستحقات العاجلة على مصر، وعمل على تعليم عشرات الآلاف من الضباط والأساتذة والفنيين. وفى هذه الأثناء كان الغرب يقف متفرجا على مصر، وهى يتم تحويلها إلى منطقة نفوذ سوفيتية. وبضربة واحدة طرد السادات المجتاح الروسى، ونسى كل عرفانه، وتجاهل كل تهديده، وأعاد كل شىء إلى حاله. ضربة رائعة!.

أمام كل هذا خر المراقبون بسرعة على أقدامهم. فالسادات لم يعد التابع أو الوارث لتركة عبدالناصر. لقد أصبح «رئيسا» بمعنى الكلمة، ولديه بلاشك، أفكاره الخاصة به. وبعد مضى عام، وفى أكتوبر ١٩٧٣ وقع حدث مفاجىء يملأ العالم كله. فالسادات يهاجم إسرائيل، لم يحدث أبدا، لا فى عام ٥٦ ولا فى عام ٦٧ أن جرؤ ناصر العظيم على أن يشن حربا على أعدائه. وفى كل مرة كان يقع فى فخ الحرب الذى أعده له أعداؤه. بينما لم يتردد السادات الذى لم يلبث أن فقد مصدره الوحيد لإمداده بالسلاح فى شن هذه الحرب. واستطاع جيشه، الذى كان الخبراء العسكريون يسخرون من قدراته بالأمس، أن يعبر قناة السويس وخط بارليف والذى اعتبرناه فى الغرب حائطا جديدا للأطلنطى. ومرة أخرى انقلبت الأمور المسلم بها رأسا على عقب. فمنذ خمسة وعشرين عاما والشرق الأوسط يعيش فى اسطورة أن إسرائيل لا تقهر، والسادات، الذى لم يكسب حربه هذه،، ولم يخسرها أيضا، استطاع أن يحطم هذه الأسطورة،

وفى خلال أيام أصبح السادات بطل العالم العربى. وقام ملوك البترول بمقاطعتهم للغرب حتى يصعدوا إلى قطار النصر، وكل العالم تفهم أن السادات كسب المعركة. لا . لقد أخطأ العالم كله. فالسادات لم يدخل الحرب ضد إسرائيل إلا من أجل أن يعقد سلاما.

ففى الوقت الذى كان فيه الجسر الجوى بين أمريكا وإسرائيل ينقل المؤن والعتاد للدولة اليهودية، كان السادات يلتقى منتصرا بكيسنجر فى القاهرة، وتعود مرة أخرى العلاقات الدبلوماسية، التى انقطعت فى ١٩٦٧، بين مصر وأمريكا. ضربة خيالية! لقد أخطأنا هذه المرة أيضا، فالسادات لم يسع للسلام مع أمريكا من أجل محاربة إسرائيل. بالفعل إنه رجل شيطان. ففى عام ٧٧ قام برحلة القدس التى لا يمكن أن يصدقها أحد.

فهنا يعجز المعلقون عن الحديث. فقد تحدى أى توقعات ممكنة، وبحثنا فى التاريخ جيدا ولم نجد زعيم دولة فعل ما فعله السادات، فهو يذهب لعدوه التاريخى يمد له يده، ويعرض عليه السلام، ويتحدث معه عن الأخوة. إن العالم كله حبس مشاعره بصعوبة أمام هذه الصور فى التليفزيون. إننا لم نعهد هذه العظمة فى السياسة ولا فى الحكام. فجأة، ارتفع التابع الماكر، خليفة ناصر، العامل السابق، البرجوازى الحر، الرجل الجرىء، الرئيس الشجاع العنيد، إلى مستوى أعظم الرجال.

أيا كانت بقية الأحداث فقد كنا على يقين من أن خطاب السادات فى الكنيست سوف يدخل ضمن مختارات التاريخ، وأن السادات سوف يجد مكانه فى قاعة عرض صور العمالقة. وسواء قتل السادات غدرا من موتور، أو عزل من مكانه بعد الغد بانقلاب،

أو خان بنفسه صورته بعد عشر سنوات، فإننا نعلم جيدا أنه سوف يظل دائما من الرجال ذوى الإرادة القوية، «رجل رحلة القدس». إن شباب كيندى، وزهرة نهرو، وصلابة تيتو، وضحكة ناصر، كل هذا أصبح شيئا قليلا أمام رحلة القدس. لقد نجح السادات فى جذب انتباهنا إليه، وكسب تعاطفنا معه.

وتصبح قصة حياة السادات مثيرة. فهى توضح بجلاء كل هذه المفاجآت التى احتفظ لنا بها، وتعطيها تفسيرا. فمما لاشك فيه لو أن أى مراقب جيد درس شخصية السادات منذ أكتوبر ١٩٧٠، لاستطاع أن يتوقع توليه الحاسم للسلطة، وسياسته الليبرالية، وطرده الروس، وحرب أكتوبر ٧٣ وإعادة العلاقات مع الأمريكان وحتى رحلته للقدس. سوف نرى أن قليلين جدا من رؤساء الدول ظلوا أوفياء على خط سياسى واحد مثل السادات. نعم لقد ظل السادات لمدة ثمانية عشر عاما صامتا فى ظل عبدالناصر، موحيا بموافقته على كل قراراته. ولكنه من السهل اليوم أن نتخيل أن السادات كان فى قرارة نفسه معترضا على السياسة التى يتبعها نظام الحكم الذى كان هو جزءا منه. ولذا فقد كان من المستحيل تخيل أن يأخذ هذا الرجل الثانى المتواضع قرارات مخالفة تماما للتى كان يتظاهر بموافقته عليها. ولكن بمجرد توليه السلطة اتبع سياسته الخاصة، والتزم بها، ولم نلحظ ذلك ، فمنذ أكتوبر ١٩٧٠ أظهر تأييده للليبرالية السياسية والاقتصادية والدبلوماسية، أوضح أنه

سيعمل على القضاء على الاسطورة الإسرائيلية التى لا تقهر من اجل إقامة *سلام عادل فى* المنطقة. وبعد مرور عشرة اعوام على حكمه لا يستطيع احد أن يقول إن السادات قد جنح قيد انملة عن هذا الخط السياسى الذى رسمه لنفسه.

يبقى شىء آخر اكثر مدعاة للدهشة فى شخصية السادات، وهو النجاح الذى حققه فى مصر نفسها. فسواء رضينا ام لم نرض، فإن مصر اليوم هى إحدى الدول النادرة فى العالم الثالث، والتى تعيش حياة ديمقراطية نسبيا، فلم يعد هناك اكثر من خمسة او ستة مسجونين سياسيين فى مصر، كما ان الإنتخابات تعتبر إلى حد كبير حرة، ويوجد بها نحو ٦ احزاب، «وقتها» كما ان معارضى السادات يمكنهم التعبير عن ارائهم بحرية.

ولكن يجب علينا ان نشير إلى ان السادات حين تولى الحكم لم يكن يستند

على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف أطاح بهم السادات عام ١٩٧١ وكانوا اكثر الرجال سطوة فى البلاد

إلى أى قوة حقيقية فى البلاد، فلم يقف خلفه الجيش الذى كان «سوفيتيا» أكثر منه ناصريا، ولا جهاز الحزب الذى كان فى يدى على صبرى، ولا البوليس ولا المحتل الروسى ولا البرجوازية الجديدة فى الحكم. لقد كان رجلا وحيدا استطاع بمفرده أن يدمر بمنهجيته كل ما كان معبودا لعدة سنوات. وهنا يكمن سر السادات. كما أن دراسة حياته سوف تضىء لنا جوانب كثيرة. لقد كان السادات نفسه صورة كاريكاتيرية للمصرى المتوسط الحال، والسياسة التى كان يتبعها هى التى كان يحلم بها المصرى متوسط الحال منذ سنوات.

إن «ضربة العبقرية» للسادات هى أنه بعد ملاحظته على مدى سنوات طويلة، وهو فى الظل لكل مساوىء الناصرية، أيقن أن مصر سوف تظل دائما بلدا للفلاحين والباشوات وصغار البرجوازيين. وأن الثورة والاشتراكية وصراع الطبقات كانت مصطلحات يصعب ترجمتها إلى العربية المصرية. لقد كان واقعيا، فقدم لشعبه أول انتخابات حرة منذ فترة طويلة، وأعاد لأبناء الباشوات أراضيهم المصادرة، وفى اليوم الذى وضع فيه السادات على صبرى فى السجن، رجل روسيا فى مصر والرئيس المطلق للحزب الوحيد، لم يعترض أحد على قراره ولا عضو واحد من الحزب. ففى مصر، إذا أردنا أن نكون ديمقراطيين فيجب أن نعرف أن الفلاحين هم الذين ينتخبون الباشوات. وهذا هو ما عرفه السادات. والقدرة الهائلة لدى السادات، هى أنه من أعماقه، ابن لمصر هذا البلد «الخالد». فقد ولد وأقدامه فى طمى النيل يلبس الجلابية فى بلد ريفى صغير فى وسط الدلتا، واحترم الزعماء أمثال مصطفى كامل وسعد زغلول باشا، وصفق للوفد، وكان يحلم أن يصبح باشا، ويكره انجلترا، بينما كان الغرب يبهره. ومثله مثل غيره فى سن العشرين بحث عن طريق فى كل مكان فى اتجاه القومية - الاشتراكية، والتطرف الدينى والإرهاب السياسى.

ودخل الضابط الشاب ابن الفلاح السجن، ثم ألقت به ظروف الحياة فى الشارع. قليل من رؤساء الدول (ويجب ألا ننسى ذلك أبدا) عانوا فى شبابهم، الفاقة التى كانت من نصيب السادات على مدى أعوام طويلة. كما أنه بلاشك الرئيس الوحيد الذى عاش حياة التشرد لفترة من الزمان، وهو الذى يحب حياة الرفاهة. ثم يعود إلى الجيش بعد أن عمل كصحفى، ثم يلقى بنفسه فى الثورة الناصرية. وفى الثالثة والثلاثين من عمره يدخل فى دهاليز السلطة، حيث

يظل لمدة ثمانية عشر عاما. ولكن فى الواقع لم ينس أبدا «مصريته» خلال هذه الأعوام التى تظهر على السطح بمجرد توليه السلطة.

لو قلنا إن السادات استطاع أن يفرض نفسه منذ عام ١٩٧٠، فهذا يرجع، بلاشك، إلى وجهة نظره فى أن يظهر فى صورة محببة إلى نفسه فى ثلاثة أوضاع. الصورة الأولى هى صورته بالجلابية فى بلدته، وهو يدخن البايب ، والثانية وهو بملابس الماريشال. أما الصورة الثالثة فهى صورة البرجوازى الكبير فى بدلة أنيقة مصنوعة فى لندن، وسط أفراد عائلته. إنها الصورة التقليدية لمصر، صورة الفلاح والرجل العسكرى والباشا. الوجوه الثلاثة الحقيقية للسادات نفسه. ونادرا ما نجد اليوم رؤساء الدول «يتوافقون» بهذا الشكل، وبهذه الطبيعة مع أرواح شعوبهم مثل السادات، ومن هنا نبعت القوة الكبرى له.

فهو مثل المصريين الحقيقيين، يحب الديمقراطية وبعضا من صور الملكية، ومثلهم أيضا يحب الحرية ويكره عدم الانضباط، ومثلهم لا يعرف إلا وادى النيل، ويأمل أن يتعامل العرب جميعا مع مصر باحترام، ومثلهم فهو وطنى ولكن دون أدنى كراهية للأجانب، ومثلهم فهو مسلم ولكن دون تعصب، ويفضل الغرب على الشرق. إنه مثل المصريين، يشبه النيل: فهو على ثقة بانه على حق، وأن لديه الوقت الكافى لنفسه، وأنه الأقوى.

وانتقال السادات من دائرة القادة الذين لا يعرف بهم أحد إلى دائرة القادة المؤثرين فى التاريخ وعلاقات الشرق الأوسط قد جعل منه شخصية جذابة بالنسبة للرأى العام العالمى، فقد قوبلت سيرته الذاتية التى أصدرها السادات بعنوان «البحث عن الذات» بإقبال عالمى قياسى، وترجمت إلى ثلاث عشرة لغة هى الانجليزية والألمانية والفرنسية والبرتغالية والسويدية والهولندية والإيطالية والنرويجية والعبرية والفنلندية والدنماركية والإسبانية واليابانية. كما نشرت أجزاء وفصول من هذا الكتاب فى عدد من الصحف الأجنبية، منها مجلة «التايم» الأمريكية، و«بارى ماتش » الفرنسية، و«بانوراما» الإيطالية، و«لا ريبوبليكا» الإيطالية، و«الأوبزرفر» البريطانية، و«دير شبيجل» الألمانية، وإصدار نادى الكتاب الشهرى بأمريكا، وبوك ديجيست بأمريكا.

وكان السادات قد روى فى كتاب «البحث عن الذات» قصة

حياته ونشأته وأحلامه كشاب وطنى يحلم بتحرير بلاده من الاحتلال البريطانى والتحاقه بالكليه الحربية.. وانخراطه فى العمل الفدائى السرى ضد الانجليز، وفصله من الجيش وتشرده لعدة سنوات وملاحقة البوليس السياسى له خلال فترة اختفائه عن عيون الشرطه وعمله كسائق سيارة فى هذه السنوات العصيبة، واتهامه بالاشتراك فى اغتيال الوزير الوفدى أمين عثمان الذى كان متهما بممالأة الانجليز ومحاكمته وهروبه من المعتقل أكثر من مرة وعمله صحفيا بدار الهلال ثم انضمامه للضباط الأحرار ومشاركته فى ثورة يوليو، وتجربته فى العمل فى عدة مواقع إلى أن عين نائبا للرئيس عبد الناصر وانتخابه رئيسا للجمهورية من بعده، وخوضه معركته ضد مراكز القوى التى كانت محيطة بعبد الناصر، وأرادت احتكار تراثه من بعده، وتخطيطه لحرب أكتوبر.. واتخاذه قرارا بخوض الحرب والمعارك السياسية التى تلت ذلك إلخ .

فكيف تم هذا الانتقال من دائرة عدم الاعتبار إلى دائرة الإعجاب العالمى؟، ولماذا كانت كل هذه التناقضات فى الموقف من السادات، سواء فى الغرب الذى قيل إنه أعجب به فيه رجل الشارع بأكثر مما أعجب به البعض فى بلده مصر وفى عالمه العربى الأوسع .

وباختصار لماذا كان الموقف من السادات فى كل الأوقات متباينا دائما بين النفور التام والإعجاب الشديد ، وبين الحب والكراهية، بلا وسطية أو موضوعية تضع الرجل فى ميزانه الصحيح. وفى حالة مثل حالة الرئيس

السادات فإننا لا نستطيع
قبول التفسير الذى يقول إن
هذه هى طبيعة موقع «القائد
السياسى» حين ينقسم بشأنه
الناس بين مؤيد ومعارض،
خاصة أنه كان قائدا لبلد مهم
مثل مصر، كما لا نستطيع

قبول الحدة فى الانقسام حوله ما بين رفعه إلى درجة سامية من درجات البطولة أو الهبوط بتقديره إلى درجة متدنية حتى يصل البعض إلى اتهامه بالخيانة أو العمالة، كما أنه ليس كافيا بالمرة الاعتماد على التناقضات الموجودة فى شخصية الرئيس السادات فى تفسير ذلك، فالرجل الذى اتهم بموالاته للغرب ورأى فيه البعض أنه واحد من أشيك الرجال فى العالم كان هو الرجل نفسه الذى جعل شعاره «العلم والإيمان»، وهو الرجل نفسه الذى كان وبحق أكثر رؤساء مصر التصاقا بالريف والحديث بلهجة ريفية واضحة، وربما كان أول قائد مصرى يخرج على الناس بالجلباب والعباءة، ويتعمد استقبال زواره العالميين فى قرية «ميت أبوالكوم». كما أنه الرجل الذى اعتبره كثيرون فى الدول الغربية نبيا للسلام، فى حين اعتبره الآخرون فى المقابل مفرطا ومستسلما، وكان هو الرجل نفسه الذى استشهد مرتديا الزى العسكرى، وفى عهده تمت أهم انجازات العسكرية المصرية، ومن بين رؤساء مصر جميعا كان هو من خصص أعلى نسبة من الموازنة العامة للإنفاق العسكرى.

كل هذه التناقضات فى الظاهر كان لها ما يبررها، ويدعو إليها إذا ما تجاوزنا القشور، واقتربنا من الجوهر، وتعدينا المظهر ونفذنا إلى المضمون.

والرأى عندى هو أن الرئيس السادات بدا متناقضا، أو اختلف الناس حوله بشدة وحماس، لأن ما جاء به كان مفاجئا وصاعقا بالنسبة للجميع، فقد فكر فيما أعتقد الكثيرون أنه مستحيل التفكير فيه أو الاقتراب منه، واتبع السياسات التى اعتقد الجميع أنها محرمة، وكان شجاعا ومقتحما وجريئا بأكثر مما اعتاد الناس عليه. فقد حارب الرجل عندما ظن العالم كله أن الأمة العربية باتت جثة هامدة.

كما خاض الرجل معركة منتصرة فى الوقت الذى ظن فيه العالم كله أن الجيوش العربية لم تعد مؤهلة لأكثر من تدريب الجيش الإسرائيلى على الضرب فيها،

واقتحم جيشه بنجاح مشهود ما اعتبره خبراء عالميون فى الشرق والغرب سدا ترابيا منيعا غير قابل للاختراق والعبور. وأدار باعتراف كل الخبراء العسكريين المرموقين فى العالم واحدة من أهم عمليات الخداع الاستراتيجى والمفاجأة الاستراتيجية فى تاريخ الحروب، وبعد النزال كان هو دون غيره الذى أخذ المبادرة فى اتجاه السلام الذى ظنت كثرة فى العالم العربى، وفى الشرق والغرب أن الصراع العربى - الإسرائيلى هو واحد من صراعات الأقدار التاريخية التى لا يجدى معها حل سلمى. وفى الوقت الذى قيل فيه إن الاتحاد السوفيتى وحلف وارسو قد وصلا إلى مرحلة «التكافؤ الاستراتيجى» مع الولايات المتحدة وحلف الأطلنطى ودخلا فيما سمى «موجة التوسع الثالثة للكتلة الاشتراكية» - بعد الأولى التى تمت فى النصف الثانى من الأربعينيات، والثانية التى تمت فى الستينيات - التى مدت نطاق الدول الشيوعية إلى أفغانستان ونيكارجوا والسلفادور والقرن الإفريقى وقلب إفريقيا. فى هذا الوقت، كان الرئيس السادات واحدا من قلة محدودة فى العالم لديها الحس التاريخى الصادق بتآكل القوة السوفيتية واحتوائها على عفن يدفعها إلى الانهيار، ومن ثم ابتعد بمصر عن قوة كانت فى طريقها إلى التدهور. وفى الزمن الذى كان فيه العالم الثالث كله، وحتى العالم الأول بدرجة نسبية، يعمل على مزيد من تدخل الدولة فى الاقتصاد كان السادات من أوائل القادة الذين رأوا أن ذلك لا يحقق التنمية، فرفع شعارات الانفتاح الاقتصادى والاعتماد على القطاع الخاص، قبل سنوات من تبنى المؤسسات الدولية هذه السياسة، وقبل أن يصبح ذلك نوعا من الايديولوجية التى تبنتها مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا ورونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة.

هذه الأفكار والقرارات السياسية التى يبدو بعضها على الأقل معتادا من الأمور الدولية الآن، كانت كلها أمورا مستجدة فى سماء السياسة العالمية، وبقدر ما أثارت الدهشة فى الداخل، كان استيعابها صعبا ومقلقا فى الخارج، وفى هذه الحالة أو تلك كان السادات - الذى عليه أن يتعامل مع تركة عصور مضت بأفكارها وأوضاعها بمنطق جديد كل الجدة - يبدو للآخرين متناقضا، فأفرز هذا التناقض مشاعر وآراء متناقضة بدورها بشأنه. وفى غمرة هذا التناقض كان السادات مظلوما بشدة، ومفترى عليه وضائع الحق فى كثير من الأحيان، وهذه المجموعة من المقالات ليست سوى محاولة فى الذكرى الخامسة والعشرين لأهم أحداث القرن الماضى لإنصافه ورفع الظلم عنه، والنظر إليه بمعايير موضوعية مجردة.

السادات فى وادى الراحه بسيناء كان يعتزم ان يذهب الى هناك بعد العرض